اللغة العربية والإعلام المرئي والمسموع

مقترحات في سُبُل العلاج والتنمية

الدكتور عبد الكريم الأشتر

سيدي رئيس المجمع! أيها السادة!

بداية أرجو أن يؤذن لي في أن أتوجه بالشكر إلى المجمع ومسؤوليه، لنهوضهم بالتحضير لهذه الندوة.

- ١ -

ثم إني أتوجه بهذه الكلمة التي تعالج موضوع اللغة العربية في الإعلام المسموع والمرئي،ضمن جملة معطيات.

فالأول: أن من الصعب أحياناً، أن تقوم فواصل حاسمة في حقول الإعلام، من جهة الوسيلة التي يُتوسل بها لإيصال مؤداه: ففي البث التلفزيوني قد يجتمع المسموع والمرئي والمقروء معاً (في النصوص المترجمة مثلاً، وفي البلاغات المكتوبة وما يماثلها)، وفي الخطاب بأنواعه يصبح المقروء مسموعاً حين يُتلى، وقد يصبح المسموع مقروءاً من بعد، حين يُنشر. على أن التصنيف هنا يأخذ بالعام الذي يعين على التحديد والدرس.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والثاني: أن ما نقوله في لغة حقلٍ من حقول الإعلام، من حيث سلامته أو ضعفه، يقال كله أو بعضه في الحقول الأخرى. فما يقال اليوم في لغة الكتاب على العموم، يقال مثله أو قريب منه في لغة الخطاب المتلوّ، أو النص الممثّل المكتوب بالفصيحة، وإن كانت هناك أحياناً فروق يعود بعضها إلى تمكن صاحب النص من نفسه ومن لغته، ويعود بعضها إلى ما ينبغي أن يراعى في لغة الوسيلة الإعلامية المختارة، ليصل مؤداها إلى المتلقي، على الوجه المرغوب.

والثالث: أن تناول الكلام في لغة الإعلام، في حقوله كلها، يراعى فيه هنا:

أن يكون من جهتين متكاملتين:

١ـ جهة البحث في وجوه الضعف المنتشر فيها، ووسائل معالجته لصالح اللغة في ذاتها، بوصفها تحمل هوية الأمة الفكرية والحضارية العامة، من ناحية، ولجعلها، في الإعلام، أكثر فاعلية، من ناحية أخرى.

٢ـ وجهة البحث في دور الإعلام في تنمية اللغة، ودمجها في حركة الحياة نفسها، والاتجاه بها، قدر الإمكان، إلى مقاربة المثال اللغوي الفصيح المنشود، المخطط له على قاعدة اكتمال الصفات الأربع الجامعة فيه: السلامة والسهولة والوضوح والدقة، وعلى قاعدة الشمول القومي: في وقت واحد.

- ٢ -

إن واقع اللغة الإعلامية لا يحتاج وصفه إلى كلام طويل. فقد قيل فيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كلام كثير من قبل، ويمكن أن يقال مثله أو أكثر منه اليوم. وحسبنا أن نذكّر بالمقررات التي اتخذتها ندوة سابقة عقدت في رحاب مجمعنا أيضاً، وتناولت مسألة الأداء في اللغة، على إطلاقها. إن معظم البرامج، أو كثيراً منها، تبث هذه الأيام، من الإعلام المرئي والمسموع، (وهو مدار حديثي في هذه الكلمة)، بالدارجة المحلية، في الفضائيات العربية كلها تقريباً. والحوار يكون أكثره، أو كثير منه، بالدارجة المحلية أيضاً، وربما طُعّم بالمفردات أو الصياغات الأجنبية، فاستحالت اللغة، في أحيانٍ كثيرة، خليطاً غريباً من لغات أو لهجات مختلفة. ومكمن الخطر فيه، وفي مثله، أنه صار يلذّ للناس، فقد ألفوه، ووجدوا فيه، وفي صورة من يبثه أحياناً أو يديره، متعة كبيرة.

فإذا عدلوا إلى وجه سهل من وجوه الفصيحة، في النشرات والبيانات وما في حكمها، وهو أمر محمود جداً، فالخطأ فيه لم يعد أحد يتوقف عنده تقريباً!

في علاج هذه المسألة المثارة منذ زمن، لابد أن يكون للقرار السياسي الملزم، الوزن الأول. وهو قرار تتوافر له عندنا، بحمد الله، القاعدة الثقافية التي تسانده وتدعمه: أن نعدل، في لغة الإعلام المسموع والمرئي ــ في مكان الدارجة المحلية، وفي نطاق إعلامنا القطري على الأقل ـ إلى صياغات فصيحة سهلة جامعة مفهومة بسيطة، نغلّب فيها العناصر اللغوية المشتركة، على حساب العناصر المحلية، وفي رأينا أن هذا التدبير ـ المدعوم بالقرار السياسي المستند إلى قاعدته الثقافية ــ لابد أن يستقر مع الزمن، وتنجلي صورته، بفضل وسائل الاتصال نفسها. وقد تُعدى به وسائل اتصال عربية أخرى.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا الذي يعنيه قولنا السابق: الاتجاه بلغة الإعلام، قدر الإمكان، إلى مقاربة المثال اللغوي الفصيح المنشود المخطط له، على قاعدة اكتمال الصفات الأربع الجامعة فيه: السلامة والسهولة والوضوح والدقة، وعلى قاعدة الشمول القومي المتحقق فيه.

- ٣ -

ولكن يبدو أنه لابد، في هذا الموضع، أن نمس قضية حساسة تتعلق بموضوع ما يُسمى أحياناً: الإصلاح اللغوي. وهي كلمة كبيرة يقصد بها الباطل أحياناً كثيرة. وما نريده نحن هنا: أن نعين رجال الإعلام على تحسين أدائهم اللغوي، لصالح اللغة في ذاتها، كما قلنا، ولتقوية فاعليتها وانتشارها، معاً.

كل ما نريده: أن نُعنى بالجانب العملي في تعليم اللغة، من جهة التركيب (الصياغة)، ومن جهة المفردات، بوصف العربية لغة متصرفة (معربة)، أن نتخفف، قدر الإمكان، في تعليمها، من المسائل النظرية التي يبعد الجانب العملي فيها أو ينعدم أحياناً، مستذكرين دائماً أن العربية ينبغي أن تكون للناس جميعاً لغة تعبيرٍ معاصرة حية. وسيلة للتعامل مع حياتنا وأشيائها وقضاياها وعلومها وكشوفها وتقنياتها. لغة فكر حي، في كل اختصاص، لا قضية معرفية في ذاتها فحسب.

فمن هنا لابد أن نقبل، مثلاً، من جانب المرونة في الأداء لا أكثر (راضين أو كارهين، وفي الوقت الراهن، على الأقل) ببعض الصياغات المرجوحة التي يكثر دورانها في لغة الإعلام التي نحن في صددها، وببعض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التجاوزات، على مثال جموع المصادر، والعطف قبل الإضافة، والتوكيد قبل المؤكّد. وعلى مثال التوسع في دلالات بعض الألفاظ الدائرة على الألسنة، وقبول بعض المصطلحات الأجنبية ذات الطابع العالمي (مثل الأيديولوجيا والاستراتيجية والتكتيك والفاكس وما يماثلها).

لابد أن نعزّز الاتجاه إلى تنمية الجانب العملي، في التكوين اللغوي لرجال الإعلام بخاصة. ولا بأس هنا أن نفكر في تبويب أبواب النحو تبويباً حديثاً، وصياغة قواعده على نحو مكثف (وقد قرأت للأستاذ يوسف صيداوي محاولة صغيرة من هذا النوع، يمكن أن ينظر فيها، بوصفها مثلاً من الأمثلة، وأن يستضاء بمحاولات مجمع اللغة العربية في القاهرة أو في دمشق، وبمحاولات أخرى في هذا الصدد). وهنا ينبغي أن نعرض لإنشاء كلية للإعلام (في إحدى جامعاتنا على الأقل)، بأقسامها المختلفة، يُعنى فيها عناية خاصة بتكوين رجالها والمتخرجين فيها، التكوين اللغوي المطلوب، من الجانب الذي نعرض له هنا، ومن جوانب أخرى ترتبط فيها قضية الارتفاع بالسوية اللغوية، بقضية التنمية اللغوية التي نندب الإعلام وأجهزته لأن يؤدي دوره الهام فيها.

ـ ٤ ـ

على أن إصدار القرار السياسي الملزم الذي أشرنا إليه، على الصعيد القومي الشامل، ليس سهلاً، في ظل الواقع الراهن. فهذا الذي يجعلنا نرضى بإصداره في النطاق القطري، عسى أن تُعدى به، في مراحل لاحقة، أقطار عربية أخرى. ولكنْ أحسب أن في الإمكان الآن أن تصدره جهة لها صفة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قومية شاملة، مثل مجلس الجامعة العربية، مستنداً إلى قرارٍ أو اقتراح من منظمة التربية والثقافة والعلوم فيها، مستندة بدورها إلى قرار يدعمه اتحاد المجامع العربية واتحاد الجامعات العربية ووزراء التعليم العرب، ويوكل تطبيقه والسهر عليه إلى مجالس لغوية تكوّن، في كل قطر، من ممثلين لمجموع السلطات التي تعنى بشؤون الفكر والثقافة والتعليم والفن والسياحة وما في حكمها.

والمهم هنا: أن يكون المثال اللغوي الفصيح المنشود (وهو المعيار الذي لا نتجاوز فيه حد السلامة والسهولة والوضوح والدقة)، أن يكون قريباً سهلاً يجمعنا من ناحية، ويوفر لإعلامنا انتشاراً واسعاً فاعلاً، من ناحية أخرى.

وهذا كله يقود إلى الكلام على تكوين الشخص الإعلامي اللائق، المؤهل فكراً وروحاً وثقافة، القادر على تطبيق هذا القرار، والراغب في تطبيقه، بعد أن وفرنا له السبيل الذي يقرّبه من امتلاك هذا المثال بصفاته المحددة ومراجعه اللغوية السهلة (القواعد العملية المبوّبة تبويباً حديثاً، والمعجم المعاصر المتجدد إلخ...).

- ٥ -

إن اختيار الإعلامي اللائق، المؤهل لأداء هذه الرسالة، يخضع، منذ البدء، لاختبارات مختلفة. فمن بعد الاختيار المبدئي الذي تحكمه سلامة الرؤية ونزاهة الحكم، يكون حسن الاختبار لسلامة تكوينه العام: الجسدي (سلامة المخارج وحسن المظهر) والنفسي والفكري: تفتح الذهن، مع قدر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من الحساسية الفنية يمكّنه من الاستجابة المرهفة للكلمة التي يتلقاها أو يلقيها.

ثم إن هذا الشخص المختار للأداء الإعلامي، على هذه الأسس، يصلح، من بعد، لتلقي دورة ثقافية مكثفة (في كلية الإعلام أو في غيرها) تُصقل فيها قدراتُه الفكرية وتُنمَّى حساسيته، في تلقي الكلام (في الحوار مثلاً) أو في إلقائه إلقاءً سليماً جميلاً قريباً من منابع فطرته الصالحة. إذ إن حسن الإلقاء في العمل الإعلامي (وفي غيره أيضاً) يتأتى من حرارة النفس وقوة اتصالها بالكلام الذي تلقيه، مع النفوذ في أسرار الأداة (وهي هنا اللغة)، والإحاطة بمواطن الارتكاز والفصل والوصل، في الكلمات والجمل، بما يخدم معانيها ويمد ظلالها، في غير تعمل ولا إسراف، مع ضمان سلامة المخارج ونداوة الصوت وعمقه.

ومثل هذا الشخص المختار للأداء الإعلامي، على هذه الصورة المدروسة، يمكن أن يستجيب، من بعد، عن طيب خاطر، لمراجعة المراقب اللغوي وتوجيهه، في المؤسسة التي يكون فيها، إذ نحن نفترض أن يكون في كل مؤسسة إعلامية مراقب لغوي مزوّد بجملة المعارف اللغوية والثقافية العامة التي يتطلبها عمله.

- ٦ -

وهكذا ننتهي مجدداً إلى ضرورة تقريب العربية، في المجال الإعلامي، من العصر، قدر ما نستطيع، مع الحرص على الثوابت الأساس فيها. فمع كل ما قلناه، من قبل، في التخلي عن التفريعات النظرية التي لا تكاد تمس الجانب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العملي فيها، ومع الأخذ بما سميناه: مرونة الأداء، يلزم أن نوفر للإعلامي المعجم الحديث الحي الخارج من سكونية المعجم القديم، والمتصل بميادين الحياة كلها، إذ الإعلام على صلة بها جميعاً، النظرية منها والعملية، على السواء (يمكن أن ينوب عن هذا المعجم، المعجم التاريخي الذي طال انتظاره، وتتوافر فيه الدلالات المتطورة لمفردات اللغة، مع العناية المتجددة بالمصطلح).

على أن الكلام في قضية المصطلح متصل بواقعنا العربي كله: إذ تدهمنا الحياة، كما نعلم، بكشوفها العلمية والتطبيقية المتسارعة من كل طرف، وتتفرع العلوم الوافدة علينا، وتكثر فيها المصطلحات (بوصفنا أمة تستهلك الحضارة ولا تشارك في صنعها، للأسف). ويحار كتّابنا ومفكرونا وإعلاميونا وعلماؤنا في اختيار ما يقابلها في العربية، عن طريق التعريب الفردي أحياناً، وعن طريق إيراد ما يرادف معناه أحياناً، وعن طريق نقله بحروفه الأجنبية، وإرفاقه بشرح يشرح معناه أو وظيفته، أحياناً، وربما أعجزنا توحيد المصطلح في القطر العربي الواحد، فضلاً عن العجز عن تعميمه في الساحة العربية كلها. وربما اختلف رسمه أيضاً (واختلف رسم اسم مؤلف الكتاب الذي يرد فيه أيضاً)، إذ ليس لنا فيه مرجع علمي عربي واحد. وليس يتضح أثر التمزق في الواقع السياسي العربي، من وجهة النظر العلمية، كما يتضح هنا، حتى ليقول أحد الباحثين (الدكتور أحمد قدور أستاذ العلوم اللسانية في جامعة حلب)، في بحثه الممتاز (المصطلح في العلوم اللسانية) ـ بوصفه مثلاً ناطقاً عن مشكلة المصطلح في واحدٍ من العلوم الوافدة الجديدة:«إن جوهر قضية المصطلح ليست في تعدد الاجتهادات، ولكن في إيجاد آلية للتنسيق، يصار بعدها إلى النظر في التوحيد».

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم إن توحيد المصطلح ـ الذي يعين عليه الإعلام، بوصفه، من ناحية، وجهاً من وجوه التنمية اللغوية ـ يعين، من ناحية أخرى، على توحيد الفكر العربي، وعلى تكوين سلوك لغوي موحّد أو متقارب، يتوحد به الإحساس بالأشياء وتصورُها، وتتقارب به معايير الاستجابات الفكرية والعاطفية. ذلك أن توحيد المصطلح يعني توحيد دلالته التي هي القصد، في الأصل، من وضع المصطلح.

وبالرغم من الجهود الكبيرة التي بُذلت في مجامع اللغة العربية، أو في بعضها. في هذا الميدان، فما زالت الحاجة تستدعي المزيد، وتستدعي خلق آلية جامعة لوضع المصطلح، تنهض بها مرجعية عربية واحدة، تعمل على الصعيد القومي، ويستجاب لها بسرعة، (مثل مركز تنسيق التعريب التابع لمنظمة التربية والثقافة والعلوم، الذي يعمل من الرباط، في المغرب). ولا شك أن الإعلام ينهض هنا، إذا أُحسن توجيهه، بدور ممتاز، في نشر المصطلح وتعميمه، وتوحيده، وتوضيحه، وترسيخه، في وقت واحد.

- ٧ -

وبعد:

لقد قارب الإعلام اليوم، بعد ثورة الاتصالات المذهلة، أن يحل محل البيت والمدرسة، في التلقين والتعليم والتوجيه. وأصبح البث التلفزيوني وأجهزته المتطورة، المتصلة بالأقمار الصناعية، هو المؤسسة التثقيفية والترفيهية الأولى. وأصبح يشكل خطراً على الكِتاب، في أوساط المتعلمين، وتعداهم إلى من لا يحسنون القراءة والكتابة في أوساط الأميين، ونسبتهم اليوم واحد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من كل أربعة أشخاص، من مجموع الأمة العربية. فمدى تأثيره شامل كما نرى. ولو أحسنا الإفادة منه، في تقريب الناس من المثال اللغوي الفصيح البسيط الذي تتوافر فيه شروط السلامة والسهولة والوضوح والدقة، مبثوثاً في جمل قصيرة، موصولاً بروح تراثنا اللغوي والأدبي والعلمي والروحي، مطلاً، إلى جانب هذا، في صورته السهلة الواضحة ومحتواه الحي، على هموم العصر وقضاياه وكشوفه، مع مراعاة أحوال المتلقين العامة ومتوسط وعيهم وثقافتهم، ومراعاة أعمارهم في البرامج التي توجّه إليهم، أقول: لو فعلنا هذا: ودرجنا عليه، حتى ترسخ تقاليده في البث، ويعتادَه العاملون فيه، لبلغنا في إعلامنا، قدراً كبيراً مما نطمح إلى تحقيقه، من جانب اللغة أولاً، ومن جانب التثقيف ثانياً.

إن اكتساب المهارة اللغوية ـ كما نعلم ـ يولده التكرار الذي يرسّخ العادة. وليس كالإعلام المسموع والمرئي وسيلة لترسيخ هذه العادة واكتساب مهارتها. ثم إنه بنزوعه إلى السهولة والوضوح والدقة، مع الاحتفاظ بسلامة التركيب وصحة الإعراب، يهيئ في المتلقين، الأسباب لتكوين هذا السلوك اللغوي المتوخَّى، بصفاته تلك. وقد يعفّي، في بعض المتلقين، على النزوع إلى التمسك بالصنعة اللفظية الفارغة، والإنشائية المفرطة، والحرص على المحسّنات اللفظية والمعنوية، في غير داع إليها، وانتقاء المفردات ذات الرنين، البعيدة عن الدارج في السوق الثقافية النامية، الممتلئ بروح العصر وحرارة المعاناة.

ومن هنا يتضح أن وراء العناية بلغة الإعلام معنى أبعد: فنحن،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بترسيخ هذا السلوك اللغوي الذي وصفناه، وهو في جوهره سلوك فكري، نقترب من إعادة بناء الشخصية العربية الممزقة بين القديم والجديد، بتقريبنا إياها من واقع العصر وهمومه وقضاياه وكشوفه الحضارية، ودمجها فيه، وإثارة تطلعها إلى المشاركة في بناء حضارته وثقافاته، بتنمية إحساسها بالتخلف عن ركبه، وما يترتب عليها من تبعات النهوض، دون أن نقطعها عن تراثها العريق. هذا، فضلاً عن السعي إلى توحيد الفكر العربي الذي أشرنا إليه، مقدمة لبلوغ الهدف القومي الكبير، حلم الأجيال العربية منذ زمن طويل.

ختاماً، نقول: لقد دخل الإعلام المسموع والمرئي كل بيت، وقارب أن يخاطب كل إنسان، في مراحل عمره المختلفة. وأصبحت العلاقة بيننا وبين أجهزته علاقة جدلية، بمعنى من المعاني: نعطيه ونأخذ منه. فنحن، في تعاملنا معه، مضطرون إلى أن نتخاطب بلغة الحياة الجارية. وهذا يعين، كما أشرنا من قبل، على تحريك معجمنا القديم، وإمداد اللغة: مفرداتها وصورها وصياغاتها، بدم طازج، كما يقول أصحاب الطب، وإحلال مثالنا اللغوي السهل الواضح، بصورة متدرجة، محل اللهجات المحلية، بتغليب العناصر المشتركة فيها على عناصر الاختلاف، مدفوعين بالرغبة في الانتشار إلى أبعد مدى، والشيوع في الأرض العربية كلها، وتغطية أوسع القطاعات فيها، بابتكار أفضل البرامج، واختيار أفضل أساليب الخطاب والحوار والمناظرة، مع ما ينبغي أن يتوافر فيها من صفات الوضوح والمباشرة والتركيز وحسن الأداء، ومراعاة خصائص كل خطاب في كل برنامج مبثوث. ولابد، ونحن نتلقى هذه اللغة ونصغي إليها، أن ترسخ فينا آدابها، ونكتسب القدرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللغوية، النامية، من متابعة أنماطها اللغوية وأساليب التعبير فيها.

ثم لابد أن يكبر التعاون بين مراكز الإنتاج الفني، في طول الأرض العربية، في تبادل البرامج بينها، فيتسع الانتشار، ويقوى التأثير. فإذا أضيف، إلى هذه الحركة كلها، ما يُعرض في وسائل الاتصال المرئية والمسموعة هذه، من مسرحيات تعنى بالفصيحة السهلة، وما يُكسب الإصغاء إليها من تصحيح النطق وتحسين الأداء، وأضيف إليها أيضاً ما يمكن أن يُبث فيها من البرامج التي تُعنى بتصحيح الخطأ الشائع (في اللغة الدائرة) وتفصيح الفصيح من الدارجة، أدركنا أثر هذا الإعلام المسموع والمرئي الذي تجتمع فيه، على نحو ما: وسائل الإعلام كلها: الصحافة (عن طريق مراجعتها في برامجه) والإذاعة والمسرح والسينما، بما يجعله أبرز اختراعات القرن العشرين، كما يقول بعض الناس.

سادتي! أشكركم. ومعذرة من طول الكلام. والسلام عليكم ورحمة الله.

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net